الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

أدبية الرحلة في كتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار. رحلة الورتلانى.

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة ليسانس

الشعبة: أدب ولغة

التخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
بوسبتة حنان.
بلعايب منال.

إشراف الأستاذ:
بوريو عبد الحفيظ.

السنة الجامعية: **2018/2019**

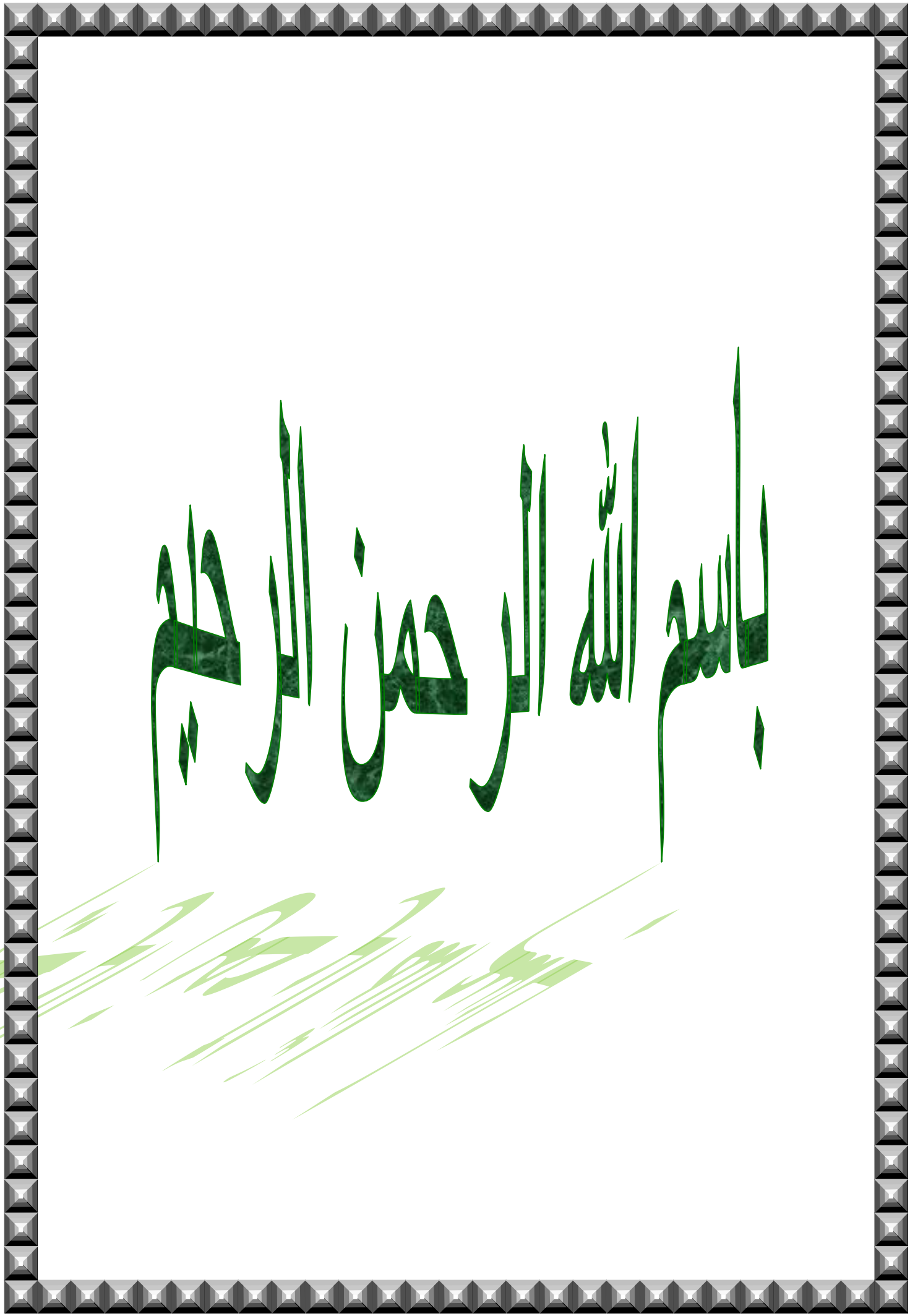
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون "

الزمر - 9 -

وقال أيضا : " يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات "

المجادلة - 11 -

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سلك طريقا فيه يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة و إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العباد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يرثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثو العلم ومن أخذه أخذ حظا وافرا رواه داود و الترميذي اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤوا استغفروا اللهم أغننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية اللهم ألهم أنفسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها .

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء :

أهدي هذا العمل .

إلى من أنارة دربي و أسعدت آيامي أمي أمي الغالية نعيمة .

إلى أبي الغالي حمو .

إلى روح خالي العزيز جمال تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه .

إلى من عشت معهم حلو الحياة ومرها إخوتي أيوب و وفاء و إلى سندي الأستاذة الغالية سحر و يونس و الأمورة مريم .

إلى أولاد عمي علال ، صلاح الدين ، موسى ، حسام ، شرافت ، حمزة ، نور الدين وإلى عمي المولود وزوجته نادية .

وإلى صديقاتي : إيمان ، عبلة ، أحلام ، رانية ، سناء ، سلمى ، دنيا ، كنزة ، أمينة ، زينب ، آمل .

إلى نبض حياتي ومن عشت معها أجمل لحظات عمري وصديقتي وزميلتي بالعمل " حنان " .

إلى زملائي : عماد ، وليد ، شعيب .

إلى من وقف إلى جانبي و أعانني بدعمه في مشواري الدراسي .

إلى الأستاذ الكريم " عبد الحفيظ بوريو " .

-منال-

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء :

أهدي هذا العمل :

إلى من أنارت دربي وأسعدت أيامي أمي الغالية " فايزة " .

إلى أبي العزيز نوار .

إلى من عشت معهم حلو الحياة ومرها إخوتي : صلاح ، مريم ، إيمان ، أسامة والبرعومة نور الهدى .

إلى أختي سندي : " إيمان " .

إلى صديقاتي : عبلة ، أحلام ، دنيا ، سلمى ، كنزة ، أمينة ، زينب ، رانيا ، عبير .

إلى نبض قلبي وبسمة حياتي ومن عاشت معي كل لحظات عمري صديقتي وزميلتي بالعمل "منولتي " .

إلى زملائي : شعيب و وليد .

إلى من وقف إلى جانبي وأعانني بدعمه في مشواري الدراسي .

وإلى الأستاذ الكريم " عبد الحفيظ بوربو " .

- حنان -

الفهرس:

- مقدمة.
- مدخل.
- الفصل الأول: مفهوم الرحلة وأنواعها.
  - المبحث الأول:
    1. المفهوم اللغوي.
    2. المفهوم الاصطلاحي.
  - المبحث الثاني: أنواع الرحلة.
- الفصل الثاني: أدب الرحلة وخصائصه.
  - المبحث الأول: أدبية الرحلة.
  - المبحث الثاني: خصائص أدب الرحلة.
- الفصل الثالث:
  - المبحث الأول: التعريف بالرحلة ومسارها.
  - المبحث الثاني: الرحلة من حيث الشكل والمضمون.
- خاتمة.
- قائمة المصادر والمراجع.
- الفهرس.

مقدمة.

مقدمة:

شهد الأدب نقلة كبيرة عبر العصور ، تمخضت عن تطور لون متميز من الأدب ألا وهو الأدب الرحلي الذي بسط أجنحته بقوة في عالم الفن و الإبداع فاحتل مكانة مرموقة لا نديد لها ، فاهتم الأدباء والنقاد والقراء اهتماما كبيرا ، وبالتالي استحق هذا الإنتاج الأدبي الزاهر أن يعرف بمؤلفات ونسلط الضوء على كتبه القيمة التي تعد حقيقة مكسبا لابد من حسن استغلاله طيبا ، فكان هذا الأدب الرحلي ثمرة تلك الرحلات التي قام بها الرحالة بعدما طافوا مختلف أقطار البسيطة ، لقد تمكن الأدب الرحلي من كشف أسرار الرحالة ، فسرد هذا الأخير كل ما جاءت به أسفاره. فنقل القارئ إلى جزيرة صخورها تلك والمشاهد والشخصيات التي أثرت على الرحالة فدفعته إلى تسجليها في قالب فتي جميل وقبل أن تبحر في هذا الأدب لاستخلاص خصائصه استلزم علينا أن نطرح جملة من الأسئلة التي تراود أدهاننا أثناء تصفحنا لكتب هذا الأدب الرحلي ، ترى ماذا كان يحمل هذا الأدب بين طياته؟ وإلى أي مدى نجح هذا اللون في التأثير على القارئ ؟ وماهي الوسائل والأسئلة التي استخدمها من أجل الزج بالقارئ في جنة المتعة والتلذذ بقصصه؟

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لعدة اعتبارات أهمها الرغبة إثراء الدراسات السابقة في مجال الأدب الرحلي ، ومعرفة أنواع الرحلات وأهم خصائص هذا الأدب من خلال الرحلة الورثيلانية للحسين الورثيلاني وهو من أهم الرحالة الجزائريين لكون هذه المنطقة قد أنجبت أدباء حملوا مشعل الأدب فاستحقوا أن تقدر جهودهم ولو من خلال هذه الدراسة وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على الخطة التالية مقدمة وفصل أول تطرقنا فيه إلى مفهوم الرحلة في اللغة والاصطلاح إضافة إلى أنواع الرحلة أما في الفصل الثاني فتطرقنا لمعرفة أدب الرحلة وخصائصها. أما في الفصل الثالث فقمنا بالتعريف بهذه الرحلة ومسارها (الرحلة الورثيلانية) نموذجا

لصاحبها الحسين الورثيلاني وإظهار الجانب الأدبي فيها من ناحية الشكل والمضمون . إضافة إلى خاتمة، كما اتبعنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي وجملة من المصادر و المراجع أهمها الرحلة في الأدب العربي لناصر عبد الرزاق الموافى ورحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة مكة لعبد الهادي النازي إضافة إلى موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة لمحمد

بن سعودبن عبد الله الحمد

وقد واجهتنا في بحثنا صعوبات أهمها قلة المصادر و المراجع وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر لأستاذنا الفاضل على مجهوداته المبذولة في سبيل توجيهنا توجيها سليما بفضل غزارة علمه وثقافته مما سمح لنا بإنجاز هذه الدراسة كما هيئ لنا أرضية صلبة مكنتنا من بلوغ مأربنا .

الفصل الأول:

مفهوم الرحلة

و

أنواعها:

المبحث الأول:

مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني:

أنواع الرحلات

1. مفهوم الرحلة :

أ. المفهوم اللغوي:

جاء في "لسان العرب" لـ "ابن منظور" [1]: "رحل الرجل إذا سار، ورجل رحول، وقوم رُحل أي مرتحلون كثيرا، ورجل رحّال عالم بذلك مجيد له".

ويضيف "ابن منظور": "ارتحل البعير رحلة سار ومضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحل فهو راحل".

ويستشف من كلام "ابن منظور" أن الرحلة في الأصل كانت للبعير، ثم توسع مفهومها ليشمل الإنسان وغيره.

وهو ما نطالعه كذلك في "تاج العروس من جواهر القاموس" لـ "مرتضى الزبيدي" الذي يضيف، "الرحل أيضا مسكنك وبيتك ومنزلك. والرحلة من الأبل القوي على الأسفار والأجمال، والرحلة السفرة الواحدة".

ويجمع "الزمخشري" في "أساس البلاغة" المعاني كلها ليذكر: "رحل عن البلد: ظعن عنه وغذا يوم الرحيل، ومكة رُحلتي: وجهتي التي أريد أن أرتحل إليه، وأنتم رحلتي، وفلان عالم رُحلة: يرتحل إليه من الآفاق. والماء في رحله: في منزله ومأواه".

وتدور باقي المعاجم اللغوية على نفس المعاني لا تحيد عنها، بينما يضيف إليها أصحاب المعجم "الوسيط" معنى جديدا. "هو أن الرحلة تطلق على كتاب يصف فيه الرحالة ما جرى. والرحالة الكثير الرحلة والتاء للمبالغة، فمدار هذه المادة اللغوية وملاكها على السير والتنقل والضرب في الأرض"[2].

أما "ابن سيده" فيعالج في المخصص الرحلة ضمن "باب اليسر والإجماع عليه"؛ فيجعل للسير مرادفات هي على التوالي: السفر ، الخروج، الهجرة (بالكسر والضم)، التحمل، الذهاب، الظعن (بالسكون والفتح) الجلاء، الضرب(في الأرض)، الفصل، الطواف، الجهوش، النهوض، الترحل والارتحال، الانتقال.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صبح: دار إيديسوفن، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص256.

[2] محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، دار الكتب والوثائق أثناء النشر، ط1، القاهرة،ص10.

وإذا يرتبط أمر السير بالنية والعزم، فإن "ابن سيده" يبحث كذلك في مرادفات الإجماع على السير فيجعلها على النحو التالي: أَجمَعَ على، أزعم، عزم، تهيأ (لـ)، شخص (لـ)، تجرد[1].

أ- المفهوم الاصطلاحي:

هي الانتقال الذي يقوم به الرحالة من مكان إلى مكان آخر، على سبيل الهواية أو الاختراف، مهما كان الغرض. مهما كان المكان والمسافة. "فالرحلة جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض. قد لا يتجاوز مسافة قصيرة أحيانا، وقد تمتد وتطول حتى تغطي أطول المسافات بين المكان والمكان الآخر"[2].

وقد عرفت الرحلة في الاصطلاح من طرف "بطرس البستاني": انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة."[3]

كما عرف الإمام "الغرابي" الرحلة بأنها: "نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة، أ, نوع حركة ومخالطة، كما يبين لنا أن الفوائد الباحثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب، وأنا الانسان لا يسافر إلا في فرص والفرض هو المحرك."[4]

وقد تقدم الدكتور "صلاح الدين الشامي" خطوات عندما اعتبرها: "انجازا أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراقا حاجز المسافة، واسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر ويأتي هذا الانجاز من أجل هدف معين، ويجاور هذا الهدف أرادة الإنسان وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر... وقد تكون الرحلة هواية تتشبع حاجة الانسان وترضيه، وقد تكون احترافا يخدم حاجة الانسان وتشبعه، ولكن تكون –في الحالتين– استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محددة تدعو بكل للحركة و التنقل"[5].

ومنه نستنتج أن التعريفات السابقة تجمع على أن التنقل والحركة هي جوهر الرحلة، هذه الحركة تمتاز بأنها مصحوبة بهدف يتمخض عنها اكتساب مهارات وخيرات فكرية وعلمية ناجمة عن المخالطة، وبذلك يكون القاسم المشترك بين (التعريف اللغوي والاصطلاحي) للرحلة يكمن في "الحركة" باعتبارها مكون أصيل من مكونات الانسان، فهي دليل على الحياة، كما

---

[1] المرجع السابق، ص10.

[2] صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المنصرة، دار نشأة المعارف، الاسكندرية، مصر ،ط2، ص7.

[3] بطرس البستاني، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت لبنان، 1884، ج8، ص564.

[4] الامام غرابي، إحياء علوم الدين، مكتبة الدعوة الاسلامية، القاهرة، مصر، دت، ج2، ص ص،245.260،250.

[5] صلاح الدين الشامي، عالم الفكر ، يناير 1983، الكويت، ص13.

يقول "ياقوت الحموي": "السكون من دلائل الموت، وأن تتحرك حركة ضعيفة يؤمل أن يقوي، أحب إلي من أن تسكن"[1].

وقد يدهش البعض إذا علموا أن كل شيء وكل سلوك ما هو إلا رحلة، فللشمس رحلة، وللقمر رحلة، والانسان منذ انتقاله إلى أن يموت في رحلة، والزواج رحلة، وكل الأعمال تقريبا رحلة... رحلة في المكان والزمان... والمشروعات رحلة من الفكرة والتخطيط، ثم التمويل والتنفيذ والتجهيز، حتى الانتهاء وبلوغ التمام، وبداء العمل.

إن الـهـلال إذا رأيت نـموه أيقنت أن سيصير بدرا كامـلا.

للأوراق رحلة، وللعملات رحلة، وللبذور رحلة، وكذلك للرياح والأمطار وللماء في الأنهار رحلات، وللأسماك والحيتان والحشرات.

ومع تقدر الشعوب وتعقد الحياة، غدت رحلات السلع أكثر من رحلات الانسان والطير... فأنت تأكل موزا حملته السفن من البرازيل، وتشرب شايا ورد من الهند وسيلان، وتلبس ملابس أرسلتها إليك مصانع صينية، وتركب سيارات وردت من اليابان، وتستخدم سلاحا حملته الطائرات من أمريكا.

وهكذا نلمس أن أصل الكون الرحلة، أو بعبارة أكثر تواضعا نقول إن الارتجال سمة أساسية من سمات الكون، وإن كنا نؤكد أنه السمة الأولى، فيكفي النظر إلى المجرات والشمس والقمر والأرض ومختلف الكواكب والنجوم حتى الميكروبات والفيروسات، وكافة الكائنات، سواء أكانت دقيقة لا تراها المناظير، أم هائلة الحجم تراها العيون المجردة، وسواء عرفها العلم وأدرك أسرارها، أم لم تبلغها بعد أدواته الاستشعارية.

حث الاسلام على الرحلة والسياحة للتأمل في المخلوقات والاتعاظ من أثار الأمم البائدة، فوردت في القرآن الكريم عدة آيات يقول سبحانه وتعالى:

"فسيروا في الأرض فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين"

الأنعام 11

وقال تعالى: **"قل سيروا في الأرض فأنظروا بدأ الخلق"**

العنكبوت 20

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1986، ج2، ص420.

وهو سبحانه الذي دعا الناس للارتحال والتنقل، سواء في سبيله، أو في سبيل الحياة الأمة من الظلم والجوع، في قوله تعالى:

"قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض

قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا" النساء 97.

من الحق الاعتراف بأن العرب قبل الاسلام ارتحلوا للرعي والتجارة والحرب ورحلاتهم الشهيرة إلى الشام صيفا واليمن شتاء أشار إليها القرآن الكريم:

"لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"

قريش 1-2

وإن لم تذكر بشكل مفصل، إلا على استحياء في قصائد الشعر وكتب اللغة والأخبار ولكنهم بتحريض من القرآن الكريم ودعوة من النبي صلى الله عليه وسلم انطلقوا على طريق الرحلة إلى خارج الجزيرة، يطلبون العلم كما يطلبون التجارة، ويتمنون المعرفة كما يتمنون الشهادة، يسعون في سبيل نشر الدين الجديد كما يرتحلون في جميع الأحاديث النبوية الشريفة، وكما ينهضون إلى الحج يسعون إلى حمل الرسائل.

لقد أتيح للرحلة الذين خرجوا إلى بلاد الشرق والغرب قبل الإسلام، وطرقوا في الصحاري والقفار، وعبروا الأنهار وركبوا البحار، أن يساعدوا قادة الزمن الإسلامي على فتح البلاد، ونشر الدعوة الجديدة، وأسهموا في معرفة المسلمين طباع الشعوب الغربية حتى يتأهب الرجال لرسم سياسات تليق بتلك الشعوب وتحترم تقاليدهم بما مهد لدخول الإسلام في سلاسة إلى كل القلوب المتلهفة للحرية والعدل والسلام.

وقد كانت الرحلة ورجالها هي البطل الأول في التمهيد للفتوحات العربية الإسلامية، ولن تبلغ الرسالة الخلق كافة، إلا بالسفر وقطع المسافات والفيافي والتنقل في الأمصار والأقطار شرقا وغربا.

وهناك الرحلة لأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا فقال سبحانه وتعالى:

"وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق(27)ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات(28)"

الحج 27-28

وهكذا كثرت الرحلات الفردية والجماعية؛ كالوفود التي يبعثها الحكام فتمضي محمية بقوى الأمن المختلفة، ومن ثم تيسر السفر وكثر الارتحال، وتعدد الأغراض وتعرفت الشعوب إلى بعضها وتهدمت كثير من الفوارق والموانع التي باعدت بين الدول، وساهمت الرحلة في أن تقرب أقواما إلى أقوام، ليتحقق ما ورد بالكتاب الكريم:"

"يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبيرّ "الحجرات 13

يمكن لنا تقسيم الرحلة إلى قسمين رئيسيين وهما، الرحلة الواقعية المباشرة بمعنى الحقيقي والنوع الثاني يتمثل في الرحلة الخيالية:

1. الرحلة الحقيقية (الواقعية المباشرة):

وهي عبارة عن رحلات فعلية ذات علاقة مباشرة تقوم على الانتقال من مكان مألوف إلى مكان آخر غريب، ينقض فيه الرحالة المسالك والممالك وأخلاق الناس وطباعهم، بل حتى مأكلهم ومشاربهم، وهذا النوع نجده في الرحلات القديمة والحديثة، فقام الرحالون بتدوين زياراتهم للبلدان التي ذهبوا إليها أو تدوين وتسجيل ملاحظاتهم على الشعوب التي تعاملوا معها وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، وهذا التدوين يمتاز بدقة الملاحظة وسعة الاطلاع[1].

وتتنوع الرحلات الحقيقية بتنوع أغراضها؛ ومن أمثالها: الرحلات الحقيقية أو الحجازية. وهي عبارة عن رحلات موسمية للحج إلى بيت الله الحرام، وترتبط الرحلة الحجية بثلاثة مشاهد أساسية: الأول مشهد الخروج، فيكون الخارج ضمن ركب منظم يرأسه متخصص عارف بالطريق يوصى بالأمانة والحنكة والتقوى وحسب الأمور، ثم يأتي بعد ذلك مشهد المسير ثم مشهد الوصول[2].

ومن بين الرحلات الحجازية رحلة "ابن بطوطة"، ورحلة "العبدري"، و "ابن جبير" ورحلة "الورتلاني" وغيرهم.

2. الرحلة الخيالية:

يعرفها "محمد النزيجي" في المعجم المفصل بأنها: "نوع من القصص الخرافي والأسطوري كما عقبه الأدباء معتمدين على خيالات مجنحة وأساليب متشوقة قصدا من ذلك التسلية وخلق أجواء متباينات تحثهم لإثارة المغامرة وتوسيع الخيال"[3].

نلاحظ من خلال التعريف بأن "محمد التونعي" قد وسم هذه الرحلات بنوع من الخصوصية على عكس "محمد تونعي"، جاعلا بمظهرها أبرز مما يكون في تلك الرحلات الباطنية التي يقوم بها المتصوفة والتي "تتطلب تجربة معيشية على المستوى الواقعي، وأخرى

---

[1] ينظر: مكي أحمد الظاهر، الأدب المقارن–أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987م، ص322.

[2] ينظر: عامر فتحي، قراءة في كتاب "الرحلة في الأدب العربي"، التحنيس وآليات الكتابة وخطاء المتحيل، "لصاحبه شعيب حليفي، متاح على الشبكة .www.el-rayan.com

[3] أحمد الظاهر، الأدب المقارن أصوله وتطور مناهجه، ص322.

ذهنية لعالم متخيل، يصنع إلى صموغ أفكار وتأملات معينة تتماشى في بحثها عن عالم آخر يكون بديلا عن الواقع، وصولا إلى المطلق واليقين"[1].

ومنه فالرحلة الخيالية عبارة عن انتقال متخيل للأدب عبر الخيال أو العلم إلى عالم مفارق عن الواقع، فيتحدث فيها عن أحلامه ورؤاه التي تتحقق في الواقع.

وقد حصر الدكتور "محمد الصالح سليمان" في كتابه "الرحلة الخيالية في السفر العربي الحديث" أشكال الرحلات، هي:

- الرحلات إلى عالم الموت والآخرة.
- رحلات إلى عالم المدن المسحورة وعالم الجن.
- رحلات إلى العالم العلوي.

وهذه الأشكال الثلاثة تعتبر عريقة الأساطير التي كثيرا ما ورد عنها، كما أن هذه الرحلات الخيالية لم تكن حكرا على شعر وبيئة معينة.

وفي تناول الباحثين المعاصرين لتصنيف الرحلات العربية أو الرحالين ظهر اختلافهم بيّنا، ففريق اتبع المنهج التاريخي فلجأ إلى الفترة الزمنية كحكم وغيرهم خلط بين المنهجين: التاريخي والجغرافي، وفريق ثالث استنطق النصوص فأخرج أنواعا لا رابط بينهما، وفريق ذهب بعده ما هو ممكن لا ما هو واقع بالفعل وفريق –أخير– اقترب من الحق.

فالدكتور "شوقي ضيف" صنف الرحلات إلى: رحلات جغرافية، ورحلات بحرية ورحلات في الأمم والبلدان، وحال هذا التصنيفات ما صنف به الدكتور "محمد الفاسي" في مقدمة تحقيقه لكتاب "الإكسير في فكاك الأسير" إذ يقسم الرحلات إلى خمسة عشر نوعا هي:

- الرحلات الحجازية.
- الرحلات الرسمية.
- الرحلات الأثرية.
- الرحلات الزيارية.
- الرحلات العلمية.
- الرحلات البلدانية.
- الرحلات الفهرسية.

---

[1] عامر فتحي، قراءة في كتاب "الرحلة في الأدب العربي" .

- الرحلات السفارية.
- الرحلات السياحية.
- الرحلات الدراسية.
- الرحلات الاستكشافية.
- الرحلات السياسية.
- الرحلات المقامية.
- الرحلات الخيالية.
- الرحلات العامة.

وواضح أن الخلط شديد في هذا التصنيف، لها أن بعض الرحلات يفكك ويجزأ فما الفرق–مثلا– بين الرحلات الرسمية والسياسية والسفارية؟ وما الفرق بين الرحلات الحجازية والسياسية والأثرية والاكتشافية؟ وما الفرق بين الرحلات الدراسية والاكتشافية والعلمية والفهرسية؟ يضاف إلى ذلك أن الرحلات الخيالية نوع قائم بذاته، ولا يدخل في "أدب الرحلات" والتعريفات التي يوردها صاحب هذا التصنيف تعوزها الدقة.

- **فالرحلة الحجازية** –مثلا– "هي التي تضع صاحبها بعد الرجوع من قضاء فريضة الحج".
- **والرحلة الأثرية** هي:" التي تكون الغاية منها البحث عن الأثار ووصفها".
- **الرحلة الزيارية** هي: "التي تقصد صاحبها من سفره زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء ومشاهدهم".

وأقرب هذه التصنيفات للواقع، تصنيف الدكتور "صلاح الدين الشامي" في كتابيه "الرحلة: عين الجغرافيا المبصرة" و"الاسلام والفكر الجغرافي" إذ يقسم الرحلة إلى ستة أنواع، منها ثلاثة كانت قبل الاسلام هي:

- رحلة الحج.
- رحلة الحرب.
- رحلة السفارة.

وثلاثة أخرى أضافها الاسلام هي:

- رحلة الحج.
- رحلة طلب العلم.

- رحلة التجوال والطواف.

ولكن ما يجب التنبيه عليه أن الجاهلين عرفوا رحلة الحج، وإن اختلفت طبيعتها عن طبيعة رحلة الحج الإسلامية.

بيد أنه يمكن إجراء بعض على هذا التصنيف، ليناسب مع الواقع ولتنحصر الرحلة في أنواع قليلة تضمها، فرحلة التجارة قديمة قدم البشرية ومازالت تتطور وتطور وسائلها حتى أصبحت أهم الرحلات التي عرفها الانسان، والتعديل المقترح لها أن تسمى: "رحلة التجارة والعجائب" حيث اقترنت الرحلة التجارية المندرجة في النطاق الزمني لهذا البحث شيء من التضليل المتعمد رغبة في الإبهام"[1].

ورحلة الحرب سميت في الإسلام: "رحلة الجهاد" والجهاد فريضة دينية على كل مسلم توفرت فيه شروط بعينها ويشبهها في هذا –إلى حد ما– رحلة الحج التي هي فريضة دينية أصلا، ولذا يمكن جمعها في نوع واحد هو "الرحلة الدينية".

ورحلة السفارة وليدة التقدم الحضاري، ونشوء الدول التي كانت ترسل مندوبين رسميين نيابة عنها، من أجل التفاوض فيما بينها وكان هذا التفاوض يطول مجالات شتى، بل إن الدولة كانت تبنى رحلات أخرى منظمة –كرحلات البريد– وتحوطها برعايتها وتبسط عليها سلطانها رغم أنها لم تتخذ شكل السفارة لذلك فإن البديل المطروح "رحلة السفارة" هو "الرحلة الرسمية" وهو اسم علم وأشمل من الأول. ورحلة طلب العلم –أو الرحلة العلمية– اسم مقبول.

أما الرحلة الأخيرة وهي رحلة التجوال والطواف فلا يمكن أن تستقل بذاتها لأنها متضمنة في الرحلات السابقة جميعها، فقد يكون هذا المتجول محاربا أو تاجرا أو عالما. والذي يخرج من أجل التجوال –كهدف– كان خروجه استجابة لدافع ذاتي بيد أن هذا لم يكن ليقبل منه في عصره وكان عليه أن يختار نوعا من الأنواع السابقة ليندرج في إطاره، فأنواع الرحلة العربية أربعة؛ وهي:

- الرحلة الرسمية.
- رحلة التجارة والعجائب.
- الرحلة العلمية.
- الرحلة الدينية.

وقد يتنازع نوعان رحلة بعينها وهنا يتم إدراجها في النوع الذي يغلب عليها وقد تخرج بعض الرحلات عن هذا التصنيف بيد أن خروجها سيكون شروط والشذوذ لا يقاس عليه، ويمكن –حينئذ– وضعها في نوع قريب منها.

الفصل الثاني:

أدب الرحلة

و

خصائصه.

المبحث الأول:

الرحلة الأدبية

(أدبية الرحلة)

المبحث الثاني:

خصائص أدب الرحلة.

ثمة اجتهادات لتمرين أدب الرحلات، تحتمل الصواب والخطأ وتمثل جميعا خطرات تساعد على استقرار هذا المفهوم.

ورد في "معجم المصطلحات الأدبية" أن أدب الرحلة هو: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد".

وعند دكتور "أنجيل بطرس" أن "أدب الرحلات" هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلات الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحال إلى بلد من بلاد العالم، ويدون وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب... وهناك صفتان عامتان لابد من توافرهما في أدب الرحلات، وهما:

أولا: أن يكون من يكتب عن الرحلات رحالا بطبعه محبا للرحلات.

ثانيا: أن يكتب بالأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة، والرغبة الشديدة التي تمكنه للقيام بها.

وهذا يمكن القول بأن طرفي هذا النوع من الأدب هما: الموضوع أو الرحلة ذاتها من ناحية، وشخصية الرحال من ناحية أخرى... ولعل خير أمثلة أدب الرحلات هو ما يكشف عن شخصية الرحالة بقدر ما يقدم بنجاح وصف البلاد التي يتنقل بينها، والناس الدين يلتقي بهم... فإذا كان الوسط الذهبي هذا ففي أحد طرفيه فوجد الأمثلة التي تقع فيها شخصية الرحالة في مركز الانتباه وفي الطرف الآخر تقع الرحلة الجافة التي لا تحمل أثرا لشخصية صاحبها، وتفقد الشخصية المميزة بعد أن تصبح مجموعة من الحقائق العارية من السمة الانسانية التي تميز العمل الأدبي"[1].

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص39.

ولأدب الرحلة قيمة عالية فيما يرى الدكتور "محمد الفاسي"، وهو نوع قائم بذاته، وأساس "هذا النوع هو شخص المؤلف وآنيته، ووصف ما يعرض له في سفره، وذكر الاحساسات التي يشعر بها أمام المناظر التي يمر بها مع اطلاعنا على أحوال البلاد التي يزورها، وعلى عوائد أهلها وأخلاقهم وأفكارهم وهو في كل هذا يعبر عن نفسه وعن عواطفه، ومن وجهة أخرى نظرته الخاصة في كل مسألة".

ويستطيع الباحث المدقق كما يقول الدكتور "حامد النساج"؛ أن "يظفر بمئات من الكتب في أدب الرحلات، أن ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضوعا أو بمعنى آخر الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثرية متميزة، وفي لغة خاصة ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة"[1].

إن التعريفات والتعليقات السابقة لم ترد في بحث مستقل، وإنما وردت على هيئة مقالات أو تعليقات أو في مقدمات كتب. ومع ذلك ففي اجتهادات ومحاولات مشكورة تكاد تجمع على أن أدب الرحلة يعتمد على عدة أسس أهمها أنه:

- يقوم على رحلة –أو رحلات– واقعية في زمان ومكان محددين.
- وأن الذي يقوم بها رحال تمكن حب الرحلة منه، يصف انطباعات هو مشاهدات في هذه الرحلة.
- وأن الوصف يجب أن يوازن بين شخص الرحالة من ناحية، والرحلة –كموضوع– من ناحية أخرى، دون التركيز على طرف واحد قد يؤدي إلى التردي في شرك العاطفة المسرفة أو الجفاف التام.
- يستخدم اللفظ المعبر عن ذات الرحال والحامل لخصائصه دونما تكلف أو إسراف.
- مع المحافظة على بنية تكفل تماسك العمل ووحدته، ليس فرضا عليه أن يلتزم معمارا بعينه. ففي أدب الرحلات سعة ومرونة قد لا تتوافران لغيره بل له أن يحتار معمارا، ولا بأس

[1] سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، الكويت، يناير 1987، ص133.

في أن يكون مبتكرا ذا معالم واضحة يكفل تحقيق الترابط بين أجزاء العمل من لذن البداية وحتى النهاية.

- وهو فن قائم بذاته، له أصوله وقواعده الفضفاضة، التي تتيح له قدرا كبيرا من المرونة والقدرة على التطور والتلون حسب مقتضى كل فرد أو عصر أو بيئة.
- يهدف إلى التأثير في القارئ والتواصل معه، حيث يستمع بكل ما فيه وتزداد ثقافته ومعارفه بطريق غير مباشر أو محسوس.
- الاتكاء على تلك الأسس يمكن تعريف أدب الرحلات بأنه: "ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية، قام بها رحال متميز موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرتين بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه".

1. أدبية الرحلة:

توقف البعض عند مصطلح "أدب الرحلة" وأبدى شيئا من التحفظ حول المصطلح، متسائلا عن سبب التسمية دفاعا في وجوه المؤيدين مادة الرحلة التي تحتوي معلومات جغرافية واقتصادية وعمرانية وسياسية واجتماعية، ومؤكدا على أن لغة الرحلة في الأغلب نثرية لا تتجاوز الوصف والحكي، وقد تخلو من أي بلاغة أو ابداع لغوي، بل قد تقترب من لغة الحديث اليومية.

ونقول لمن يذكر أدبية الرحلة، ويأبى أن تنضم الكتابة عن الرحلة إلى أجناس الأدب المختلفة كالشعر والرواية والأدب المسرحي وأدب الطفل والدراسات النقدية[1]:

أولا: تتضمن بعض نصوص الرحلة أشعارا كحِلْيَة أسلوبية، وإشاعة لجو جمالي، يضفي على النص جاذبية، فضلا عن النصوص النثرية المختارة ومنها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي يبتها الكاتب ضمن سياقه اللغوي وليس بصورة منفصلة.

ثانيا: هناك نصوص للرحلة رفيعة المستوى، جذابة الأسلوب، تحفل بالجمال والخيال والعبارات المحلقة ذات القدرة على الإقناع والتأثير مثل "ابن جبير" و "الطهطاوي"، ومن الأساليب ما يتميز بالعذوبة والتدفق دون تكلف أو صنعة.

ثالثا: تتفق كافة كتب الرحلة في الاعتماد على تقنية الوصف، لأنها المهمة الأولى لكتب الرحلة... وصف الحجر والبشر و وصف الطبيعة بما فيها من أنهار وجبال وأشجار، وشروق الشمس وغروبها وأحوال القمر والسهر والسمر، وعادات الناس وغيرها... وهل الأدب في أبسط تعريفاته إلا الوصف والتصوير باللغة؟

رابعا: لا تخلو كتب الرحلة من الفكاهة والمرح والسخرية مع الامتناع والمؤانسة وهي دون شك سمات أصيلة في الأدب.

خامسا: تحفل كتب الرحلة بالقصص الحقيقي منها والأسطوري المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى... كما تحفل بالحوادث والمعارك والأزمات والمصاعب والأوجاع، بل والمآسي الإنسانية... .

---

[1] محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، دلر الكتب والوثائق القومية أثناء النشر، القاهرة، ط1،ص ص23-22.

ومعظم كتب الرحلة كتبها أصحابها بأسلوب أدبي جذاب، توافرت له كل عناصر القص من مواقف وشخصيات وصراع وحبكة وتدفق آسر ووصف دقيق لأماكن وأحوال وعادات، الأمر الذي يؤكد موهبة الإبداع القصصي لدى العربي حتى امتزجت في هذه النصوص المعلومات بالمغامرات والواقعي بالخيالي والحكمة مع السحر، وانصهر ذلك جميعه في نص أدبي صالح تماما للحكي والرواية، وإيناس مجالس السهر مثل السير الشعبية وهكذا استوعبت الرحلات طاقة القص عند العربي كما كشفت عن موهبته التي رأى أن يصبها في نسق غير النسق المعتاد، وهو الشعر وإن لم تخل من الشعر بعض الأحيان.

ولا نبالغ إذا قلنا إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي ليس بسيط وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اته بها هذا الأدب، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة.

سادسا: إن من يتعللون بالمادة الاقتصادية والعلمية والسياسة والعمرانية وفيض المعلومات الأنثروبولوجية والإثنوغرافية؛ التي يوالي الكاتب غمرنا بها هي ذاتها مكمن أدبية الرحلة، لأنه في الأغلب يقف منها موقفا انتقائيا يختار من بينها ما يود أن يحمل وجهة نظره أو يؤكدها وهي من هذا الجانب نص ذاتي كل ما فيه يطل من خلال رؤية الكاتب الخاصة ومشاعره وعقده وأفكاره والذاتية إحدى السمات الأساسية لكل نص أدبي[1].

[1] المرجع السابق، ص23.

1. الخصائص المميزة للمضمون:

أدب الرحلة وعاء لكل مضمون، وهو لا يفرق بين مضمون ردئ وآخر شريف أو بين مضمون مهم وآخر تافه، كل مضمون قابل للتدوين طالما قبله ذوق الرحال واقتنع به، وعليه... يمكن القول بأن مضمون الرحلة هو مضمون الحياة، غير أن طوابع مضمونية بعينها يكاد الرحالون يجمعون عليها، وقد تستوفي جميعها في عمل واحد وقد يتناول بعضها دون بعض، بينما يركز رحالون على واحد منها، وهذه الطوابع هي:[1]

أ. الطابع الموسوعي والمعرفي.

ب. الطابع الوثائقي.

ت. الطابع الكشفي.

ث. الطابع الفردي.

ج. الطابع الإنساني.

ح. الطابع الشعبي.

خ. الطابع الجمالي.

د. الطابع النقدي.

ذ. الطابع الفكاهي.

- **الطابع الموسوعي:**

يعطي للرحالة حرية وهو قيد في الوقت ذاته، ذلك أنه يحتم عليه الاختيار الدقيق الذي يضمن دوام التواصل مع القارئ، وهنا تكمن صعوبة الكتابة في أدب الرحلات، يخطئ من يظن أن نجاحه مرهون بأن يستغرق القارئ معه في "لحظة استرخاء لذيذة بين انطباعات فنية ناقصة" ينبهر بها، ثم ما يلبث أن ينساها دون أن تترك أثرا يذكر، ويصيب من يظن أن نجاحه مرهون باحترامه لقارئه ومن ثم احترام قارئه له وتأثره بعمله.

والطابع الموسوعي هو طابع معرفي في الوقت ذاته، غير أن رحالا بعينه قد يتراءى له أن يركز على فروع علمية بعينها، يؤديه إليها تخصصه وخبراته السابقة، وحينئذ يجب عليه أن

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي،ص50.

يعي أنه يقدم كتاب رحلة في الأساس، يتضمن معلومات في فرع بعينه فحسب، وهذا الوعي لا بد أن يترجم ترجمة عملية إبان التدوين.

- **الرحلة ذات الطابع الفردي الذاتي:**

لأن الكشف الخارجي الحقيقي لا يأتي إلا الكشف الداخلي. إن رحالا لن يصل إلى حقيقة يعتد بها إلا إذا عرف حقيقة نفسه أولا.

إن حرية الاختيار والاعتماد على الذات في توفير نفقات الرحلة والسعي لمواجهة الصعاب والتخلص من المأزق والتجريب والاستقصاء، كل ذلك سيساعد على اكتشاف الذات، فالرحلة كما يقول –أحد الرحالين– "إحدى صور تأكيده لذاته في مواجهة الناس".

إن الفردية والذاتية لا تعني أن يكون الرحال شادا في تصرفاته، حيث يبدو غريبا دوما إنما النصيحة التي يسديها كبار الرحالة أنعليه أن يتصرف كما يتصرف أهل البلاد التي يحل بها وأن يختلط بهم، ويتعرف عليهم حتى يتيح له ذلك فرصة للحكم الدقيق. إن الرحالة قد يفلح في استكناه حقيقة ذاته، ولكن هذا لن يتأتى –علميا– إلا حين يدون رحلة وينشرها، إذا أفلح في هذا استكناه –نظريا وعلميا– فإن عمله يصبح وثيقة نفسية رائعة يمكن الاتكاء عليها في استنباط الحقائق عن النفس البشرية التي يمثل الرحال أحد نماذجها البارزة والنماذج الرفيعة من هذه الوثائق النفسية تكتسب صفة الخلود لأنها سترتفع عن كونها ذات طابع فردي خاص لتصبح ذات طابع إنساني عام.

ومن صور تأكيد هذه الذاتية الاعتداد بالتجارب والمواقف التي خاضها الرحال أثناء رحلته واعتبارها شيئا "إيريفاجد ريرا" بالتسجيل والذيوع.

- **الطابع الكشفي:**

يتأتى باستغلال الرحال لبصره ومصيره، وصولا إلى الحكمة التي تؤهله لأن يطلق عليه لقب "الخبير أو المجرب".

إن استنفار حواس الرحال جميعها لابد أن يكون في حالته القصوى توطنه للكشف الذي يتأتى بعد طول روية وتأمل، أو فجأة ويكون هذا الكشف داخليا أو خارجيا تجلية لما صدأ أو كشفا عن جديد.

وما يميز كشف الرحال عن كشف الفنان؛ أن الأول نتاج حركة علمية وذهنية، أما الثاني فنتاج حركة ذهنية وحسب –في الغالب– ونسبة الخطأ عند الثاني أكبر منها الأول، وأن

كشف الرحال يقدم في صورة مباشرة تدرك بسهولة، أما كشف الثاني –الفنان– فيقدم في صورة محورة تحتاج إلى إعادة كشف[1].

- **الطابع الإنساني:**

الرحالة انسان يصف الانسان وما يتعلق به، ويوجه وصفه إلى إنسان وبين هذه المحاور الثلاثة يبدو الطابع الانساني للرحلة جليا واقتناع الرحال بأنه فرد في مجموع، وجزء من كل سيؤدي به إلى الالتفات إلى هذا المجموع محاولا الكشف عنه في حال كونه كلا متكاملا.

هذا الالتفات للمجموع يؤكد على الطابع الانساني للرحلة. فالرحال يصف الانسان – هدفه الأول– من حيث الصفات العامة والخاصة، ومن حيث الاتفاق والاختلاف بين شتى أجناسه.

- **الطابع الشعبي:**

يترتب على كون الرحلة تصف شعوبا أنها ذات طابع شعبي، وهذا الطابع مزدوج، بمعنى أنه يصف شعوبا، وهو موجه إليها ومراع لها.

لقد تم التأكيد على ضرورة أن يضع الكاتب في اعتباره أن عمله موجه إلى جمهور أو شعب، ومن تم فعليه مراعاة اعتقاد هذا الجمهور، ورحلة تتجاهل هذا الجمهور، هي رحلة لم يستفد منها صاحبها شيئا.

إن العجائب و الخرافات والأساطير التي شخصت بها كتب الرحالة هي استجابة لمطالب جماهير ضاغطة، ووصف الشعوب الأخرى هو استجابة لمطالب شعبية ترغب في معرفة كل شيء عن غيرها، إن لم تكن المعرفة مباشرة، فلتكن بواسطة آخرين.

لقد أدرك الباحثون هذا الطابع الشعبي لأدب الرحلة، وشرعوا في استخلاصه من النماذج المميزة، واقترح بعضهم مناهج محددة لكيفية استخلاصه بينما حرص آخرون على تأكيده[2].

---

[1] المصدر السابق، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص53.

- **الطابع الجمالي:**

الجمال الذي يخرج من أجله الرحالة موضوعه "متعة لا غاية لها ولا علاقة لها بالمنفعة الحسية –كما هو الشأن في اللذيذ ولا بالمصلحة الخلقية كما هو الشأن في الخير، وتلك المتعة أساس حكم ذاتي ابتداء، ولكنه عالمي نتيجة... كما أن هذه العالمية في الحكم الجمالي لا تستند إلى قاعدة"[1]

وهذا الجمال مصادر متعددة، وجوانبه كثيرة، وذوق الرحالة –المهذب– هو الذي يحدد كون الشيء جميلا من عدمه، حتى لو كان ذلك موضع خلاف مع الآخرين.

ومن بين الجوانب الجمالية المتعددة، ينجذب الرحالون إلى جمال الطبيعة لبهم، فيقفون أمامه طويلا، محاولين إقامة جسور وعلاقات بينهم وبينه، وصولا إلى إجراء حوار– بلا كلمات– يفضي كل فيه بمكنونات نفسه، وليكن معلوما أن "الذي يشكل جاذبية وفتنة المكان الآخر وهو ما نسميه بالبراتية ليس مرتبطا بكون الطبيعة أكثر جمالا، ولكنه يعود إلى أن كل شيء يبدو لنا جديدا، وأنه يفاجئنا، يتجلى لنا ظريفا في ثوب من البكارة. إنها ليست "الأوراق الأعرض" بقدر ما هو "الشذا الذي لم يختر"[2].

غير أن ما يجب التنبيه عليه أن وصف الرحالة مهما كان معتبرا، ومهما سكب عليه من نفسه واحساسه لا – لا يغني بحال– عن مباشرة هذا الجمال كضرورة ومطلوب من الرحال أن يكون مستعدا دوما لأن يرى جميلا، وحينئذ تبلغ روحه درجة عالية من السمو الذي يؤدي به إلى الكشف الحقيقي.

- **الطابع النقدي:**

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار مطابع الشعب، القاهرة، 1964، ص308.

[2] صلاح الدين الشامي ونادية محمود عبد الله، مقال بعنوان "أدب الرحلات"، عالم الفكر، عدد يناير 1983.

لعل من أهم ما يجب أن يتحلى به الرحالة امتلاك روح الناقد البصير المحايد، وإذا لم تكن هذه الروح كامنة فيه قبل تحركه، فإن الرحلة كفيلة بثها في نفسه والحكم النقدي الصادر عن الرحال ينتج عن تفاعل صحى بين خبرتين هما:[1]

أ. الخبرة السابقة (وتتمثل في كل ما اكتسبه الرحال قبل خروجه).

ب. الخبرة المضافة (وتتمثل في كل ما اكتسبه الرحالة من لدن شروعه في الخروج).

وقد يكون هذا الحكم انطباعيا أو موضوعيا أو –بعبارة أخرى– آليا أو متأملا، ولكل حكم رصيده من الأهمية والمصداقية والدلالة على وجهات الرحالة.

- **الطابع الفكاهي:**

قد يتخذ النقد طابعا فكاهيا ساخرا، ويكون –حينئذ– أبلغ في الوصول إلى الأثر المرجو، وقد يبلغ هذا الطابع الفكاهي ذروته، فتسمى رحلات بمسماه، أو يصيغ أجزاء منها بصيغته، ولعل الفصل الخاص ب(صقله) في كتاب "ابن حوقل" من أروع ما كتب الرحالة في هذا المجال، وللمقدسي مواقف كثيرة طريفة تدخل في باب الفكاهة مثل حكاية تنكره في ثياب المتصوفة، واستنتاجاته الطريفة من الأسماء. وثمة حكايات طريفة ضمنها "ابن فضلان" في رسالته "إن روح الفكاهة تعيد التوازن لمضمون الكتاب وشكله، حيث يتقبله القارئ"[2].

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص56.

[2] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص58.

2.الخصائص المميزة للشكل:

المضمون المتجدد لأدب الرحلة في حاجة لأشكال جديدة تواكبه، لذا كان تجدد المضمون مقرونا –دوما– بتجديد في الشكل حتى إنه ليمكن القول بأن للرحلة أشكالا بعدد نصوصها، وفي هذا التوجه يتفق أدب الرحلة مع الرأي النقدي الذي يعترف بأن "كل تشبث ملتزم بمنهج غير محدد –أيا كان هذا المنهج– يتناقض مع مهمة خلق تركيب جديد يستفيد بنتائج آلاف السنين من التطور الانساني، وعرض المحتوى الجديد في أشكاله جديدة"[1].

وفي هذا –أيضا– يكمن سر عبقرية الرحالة الذي يحاول أن يخترع أشكالا جديدة حتى يصل به الأمر إلى اختراع أشكال جديدة مختلفة لكل عمل يخرجه، مع التركيز دوما على ضرورة التناسق بين الشكل الجديد والهدف من العمل، غير أن مهمة الناقد توجب عليه البحث والتنقيب وصولا إلى تحديد مناهج رئيسية تنتهجها كتب الرحلات، ويمكنها انتظام المناهج الفرعية وبذلك يخرج أدب الرحلات عن كونه "فوضى مطلقة" ليصبح "فوضى منظمة" المهم أنه يجب الاعتراف بأن شيئا من الفوضى المنهجية مازال – وسيظل– يسوده، ويتحكم فيشكل الرحلة طريقة التدوين التي تؤدي بدورها إلى تكوين بنية وطريقة التدوين والبنية يحكمها الأسلوب واللغة. ودرس هذه العناصر الثلاثة –مرتبة قد يؤدي إلى الكشف عن بعض هذه الخصائص المميزة لأدب الرحلة من حيث شكله.

[1] آرنست فيشر، صورة الفن، تر: أسعد حليم الهيئة المصرية العامة للكتاي، ط1986، ص149.

الفصل الثالث:

رحلة الورتلاني.

المبحث الأول:

التعريف بالرحلة

و

مسارها.

المبحث الثاني:

الرحلة من حيث الشكل

و

المضمون.

1. التعريف بالرحلة:

هذه رحلة حجازية تحمل عنوان "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" والمشهورة بالرحلة الورتلاني (نسبة إلى قبيلة قرب بجاية) وهي للشيخ "الحسين بن محمد السعيد الشريف الورتلاني" المتوفي سنة (193هـ/ 1779هـ). وقد تمت الرحلة سنة (1779هـ /1766م)، وقد نشرها الأستاذ الراحل "محمد بن العربي بن أبي شنب"، ولم يقدر لي أن أقف عليها إلا في مكتبة مؤسسة التراث الإسلامي (الفرقان)بمناسبة زياتي لها أواخر أكتوبر عام 2002م.وسنقف مع مؤلفها بمكة المكرمة لنقف على الجديد في الرحلة بالنسبة إلى ما مر من رحلات مغربية سابقة.

وكان من الملاحظات البارزة في الرحلة الورتلانية، وخاصة بهذه البقاع المقدسة، أن الشيخ الورتلاني ظل مشدودا إلى من سبقه من أصحاب الرحلات ابتداء من الإمام "أبي سالم العياشي" والشيخ "أحمد بن ناصر"، وهكذا نجده يفسح المجال واسعا لما سبق ذكره من لذن هؤلاء.

2.مسار الرحلة:

ومع ذلك، فإن لنا رغبة في توفر الفائدة، نصحبه في زيارته لمكة التي" لم تغادر في النفس ترحه، وأعادت عن الجفون كل قرحة، فدخلناها في زحمة عظيمة كادت النفوس أن تزهق، غير أن سرورها بالوصول إليها خفف بعض الألم، بل قد زال التعب والنصب، كأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا من منحه الله تلك النعمة"[1]إلى أن يحكي أنه دخل من باب "بني شيبة" فأفاض الله عليه من جوده كرامة وهيبة.

وهنا ردد ما قاله شيخه "سيدي أحمد بن ناصر": "فشاهدنا البيت العتيق الذي تزيح كل ظلام، وقد تدلت أستاره، وأشرقت أنواره وقد شمر البرقع عن أسافله حتى لا يكاد الطائف يناله بأنامله"[2].ثم ينقل عن الإمام "أبي سالم" أبياته الثلاثة المعروفة حول تشمير كسوة الكعبة....

ويطوف بالبيت سبع (طوفات) على حد تعبيره، ولم يبال بالازدحام والمورد العذب كثير الزحام.... إلى آخر نص "العياشي"...

بعد أن يخبرنا بأنه خيّم بوادي "سيدي أبي طالب" تحت "أبي قبيس" قبل أن يكتري دارا لسكناه...

يعود ليتحدث عن الزحمة العظيمة من الرجال والنساء، ويذكر أن معه جماعة كثيرة تكاد ألا تحصى، يطوف بهم يعلمهم كيفية الطواف الذي يبتدئ من الحجر الأسود(...) "ولما رأى أهل مكة فعلي ذلك تغيروا، وقالوا: ألم تعلك أن أهل مكة لا ينتظرون إلا هذا الموسم، وقالوا: طف لنفسك واترك الناس، فقلت أنا أطوف بهم وأعلمهم، وأنتم خذوا الأجرة منهم...".ولم يفتأ الشيخ "الورتلاني" يشكو من الحر العظيم الذي كان يسود آنذاك (أواسط مايو 1766م).

وهنا يرد ملتمس "العياشي في أن يبقى المسعى بعيدا عن السوق التجاري... ويذكر أن النساء المصاحبات لركبه طفت طواف القدوم بالليل ثم ارتحل إلى "مِنَى" في اليوم الثامن من

---

[1]عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مكة المكرمة، الرياض، دط، 2005م، ص375.

[2]المرجع نفسه، ص376.

ذي الحجة (18 مايو) فانفصلنا عن مكة في ازدحام شديد... وبعض الأركاب من المصري والشامي والعراقي والمغربي لم يرحل حتى إلى نصف الليل أو الثلث الأول منه...

ووصلنا ضحى إلى مسجد ثمرة حيث ثم الجمع بين الظهرين فيه بالقصر... واشتد الحر بحيث لا يقدر أحد أن يضع رجله على الأرض عند الضحى... وأخيرا عن رجل ضرير ورد عليه، كان فقيها عالما يحفظ أكثر الشراح، وهو مالكي من جزيرة العرب، أعني البحرين، يقول "الورتلاني" ولما سأله عن مذهب أهلها، قال أكثرهم مالكيون... ويتحدث مرة أخرى عن الحر فيقول: إن العراق يسيل علينا فلا نرى أحدا إلا كادت روحه أن تزهق!

وصلينا خلف الإمام، ونوينا القصر، وصلى بالتمام ... ويعود للنقل عما ذكره شيخه في الرحلة الناصرية بما ينال وفد الله من الطرب والفرح، ونسيان العناء والشرح... ذاكرا القصيدة الهائية التي طالما اقتبس منها الرحالون التي مطلعها:

وما زال وفد الله يقصد مكة إلى أن بدا البيت العتيق وركناه.

ويتابع نقله عن "الناصري" الذي اجتمع بمسجد الخيف بالشيخ "محمد أكرم ابن الشيخ عبد الرحمن" مفتي الهند، الذي قال عنه: إنه رجل عالم له تأليف على رجال البخاري.

كان الشيخ "الورتلاني" ينتقل من نقل إلى آخر ليزيد توثيقا على ما يبدو أو يعود إلى القصيدة السابقة ليكملها؛ بقوله:

فكم حامدا ذاكرا كم مسبح وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه!

فظل حجيج الله لليل واقفا فقيل "انفروا" فالكل منهم قبلناه.

إلى أن يذكر أنه عند طواف الإفاضة: وجدنا البيت مفتوحا والناس على طهره يكسونه، ويحكي على نحو ما حكاه شيخه المذكور أنه عرض له الأخ الحاج "بوعزة المراكشي" الذي حثه على دخول البيت العتيق، فامتنع تأدبا إلى أن أدخل أمير الحاج المصري "ابراهيم أبو شنب"... وإنما يدخله من تكلف العود بمعين أو بخفة أعضاء... ويعود للنقل من "أبي سالم " حول نوازل فقهية معلقا بما علق به الشيخ...

ومن الغريب أن نجده ينقل حرفيا ما قرأناه سالفا في رحلة الشيخ من أنه لما فرغ من الطواف وتوابعه جلس للاستراحة أخريات المسجد، واشترى خبزا وسمنا وعسلا فأكله قبل أن يرجع لـ "مِنَى" ويتحدث عن امتلاء الطرقات باللحم... وما ينفك نقلا عن الإمام "أبي سالم" الذي –كما أسلفنا– بقي مرجعا لمعظم الذين توفروا على رحلته من أمثال الشيخ "ابن ناصر"...

ويتحدث عن سوق "مِنَى" وبركته... وعن لياليها وما يتم فيها من تظاهرات ومواسم، وفي الحديث عن التنعيم يذكر ما سبق أن ذكره الشيخ من أن إنسانا وطئ على .... بنصر رجله اليسرى ولا .... إلا انكسرت فتمم الطراف وهو بحجل ، وقد تذكر قول الشاعر:

هـل أنـت إلا أصـبع دمـيت وفـي سبيل الله مـا لقيت!

ويعود إلى القصيدة التي عند "أحمد بن ناصر":

وردت إلى البيت الحرام وقـودنا تحن له كالطير حنّ لمأواه!

وبعد هذا يتخلص لذكر المشاهد التي ينبغي للحاج أن يزورها بمكة معتمدا على ما ذكره "أبو سالم" في كل ما قاله وما علق به وما انتقده كذلك، من غير أن تفوته قصة الحاج الذي انفرد عن أصحابه، فتعرض للمتاعب والمشكلات مرددا قوله "أبي سالم": "والانفراد عن الناس لاسيما في المفازات والمغارات البعيدة عن العمران لا يقوى عليه إلا من أيده روح القدس".

وينعطف الشيخ "الورتلاني" مرة أخرى إلى ما كان بصدده، فيحكي عن المسجد ثمرة وما كان الوقوف، حيث أصاب الناس شدة الحر والوهج حتى كاد أن يذهب بالروح والمهج... لكنه عوض الوقوف على بغلة يتبعه في ذلك سيدي "أحمد الطيب"، وسيدي "أحمد بن حمود"، وسيدي "محمد الشريف الطرابلسي"...وتمكن من الوصول إلى الخطيب في عرفات الذي ابتسم في وجهه... نعم يقول الشيخ: وجدنا قلوبنا في ذلك المحل وشاهدنا فيه أمرا عظيما لا يمكن التعبير عنه... ويذكر أن شيخه "أحمد بن ناصر" ذكر أن بطن محسر هو وادي النار إلى آخر النص... وينعطف مرة أخرى إلى متى ليتحدث عن الجمرات التي رماها كما قال شيخنا بالتكبير... إلخ.

ويرجع إلى الكعبة ليدخل البيت العتيق مرة أخرى راويا عن عائشة رضي الله عنها: "عجبا للمرء المسلم إذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل القف؟ !... ينقل عن "الناصري" بالحرف.

وينعطف مرة أخرى إلى الحديث عن أسواق "منى" ويتحدث الشيخ بدور عن الخوف من النصوص، ويشكو الفساد والظلم من الأشراف وغيرهم من المنتقدين... ولقد قتلوا صاحب أخينا "سيدي محمد بن قوم الريغي" على شربة ماء!.

ويروى أنه دخل على سلطان مكة "مساعد بن سعيد" في داره بـ "منى" حول بعض الإبل التي نُهبت، فلما عرف السلطان أنه من أهل العلم احترمه ووعده بإرجاع الإبل، ويؤكد الشيخ أن السلطان اسمه "مساعد"، بينما كان السلطان في الحجة الأولى مسعود، معلقا على هذا بقوله: نعم الحج قد كاد أن يكون ساقطا بسبب الظلم من الولاة وأصحابهم والعرب والشياليين الذين زادوا في الارتياش للظلام....

وينعطف مرة أخرى إلى ذكر العمرة من التنعيم ويقول: لله در شيخنا، ويردد مرة أخرى بعض القصيدة النهائية:

وردت إلى بيت الحرام وفودنا تحن له كالطير حن لماواه.

ويختم بذكر ما نقله عن شيخه المذكور من المشاهد التي ينبغي للحاج أن يزورها مكررا ما ذكره الشيخ "أبو سالم" عن الدار التي ولد فيها النبي –صلى الله عليه وسلم–.

ثم يذكر من لقيهم من شيخه في الحرم المكي من الأئمة: "المخيلي" و"البصري" و"تاج الدين"، ثم يتحدث عما أجاز "أحمد بن ناصر" بمكة طالبا بأن نرجع إلى ذلك في الرحلة...!يعدهم بالكامل معرفا بهم وبمتعلقاتهم نقلا كذلك عن الرحلة "الناصرية"...

ولا ينهي هذا الموضوع دون أن ينعطف إلى الأماكن التي ينبغي زيارتها بمكة زيادة على ما تقدم، غير مهمل تعليق "أبي سالم" عما رواه عن أهل العلم بمكة بما ذلك قبة "أبي طالب" السالفة الذكر...

وأخيرا لم يفته هو الآخر الحديث عن مزايا (حمير جدة)التي يضرب المغاربة المثل بها في الجري والنشاط، ويختم الحديث برائية الإمام "أبي علي يوسي" –رضي الله عنه– وأرضاء التي يقول في مطلعها:

أحجاج بيت الله سيروا وأبشروا بما لم ينله رائح ومبكر.

وطيروا عجائي فوق أجنة القطا وأجنحة الشوق المبرّح.

تمهيد:

يعزى الجدل الممتع الذي تثيره مسألة البنية السردية في قسم الرحلة في "الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" إلى طبيعة النص ذاته فهو الواقع جماع أجناس: استعار من المسرح الحوار وصدامه ومن القصيدة المغنى وإيقاعه، ومن المقامة السجع وأجراسه، ومن الخرافة العجيب بألوانه بل إنه ملتقى فنون الكتابة على اختلاف أنماطها وأصولها وقواعدها. ينشأ السرد من رحم الصورة الشعرية ، ويشتق الوصف من صلب الجملة الإخبارية (قد خلنا مكة...) وينهض الحجاج من أحشاء المشهد القصصي (السرد) وينبطق التفسير من طيات الآية القرآنية الوعظية.

وقد يبدو تأسيسا على هذا الواقع الأدبي أن "الرحلة الورتلانية" نظام خارق لسنن الأدب، غير أن الانفتاح على الأجناس المتباينة وأنماط الكتابة المختلفة لا ينفي أن "الرحلة" تتشكل – ككل عمل تخييلي–وفق مستويين متباينين نوعيا. متكاملين وظيفيا. فالرحلة حكاية وخطاب ، وهي حكاية لأنها تعرض وقائع أي أحداث أنجزتها أو تنجزها شخصيات متفاوتة التشابه بالإنسان وهي حكاية لأن أحداثها وشخصياتها محكومة بالمكان والزمان واقعيين كانا أم عجيبين.

1.الشخصيات:

لقد برزت في الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للإمام العلامة والأستاذ الفهامة "الشريف النوراني" الشيخ "الحسين ابن محمد الورثلاني" عدة شخصيات التقى بها الورثلاني من علماء وأدباء ونجباء وفضلاء من كل مكان من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأخيار والأشياخ العارفين والأخوان والمحبين والمحبوبين من المجاذيب المقربين والأبرار[1].

وقد اهتدينا إلى طريق تجميع هذا الشتات من الشخصيات حتى يسهل التعرف عليها دفعة واحدة في إطار تأليفية من الصفات وفي سياق فئة من المعايير أبرزها معيار المكان (مكة، المدينة المنورة، مصر، المشرق) ومعيار الزمان (إسلامي، مخضرم...).

أما من العلاقات بين الشخصيات فقد كانت تتميز بالتكامل والتماثل (سيدي أحمد بن حمود، سيدي مهنا، سيدي أحمد الطيب الزواوي) أو (سيدي أحمد الزروق بن مصباح وسيدي الحسين بن أعراب وسيدي أحمد ابن باباس القليسبي).

لقد كان "سيدي المبروك" من بين الشخصيات البارزة في الرحلة فقد وصفه الورثلاني عندما رآه متقطعا عن العبادة وذكر التشبيه في قوله: "رأيته رضي الله عنه كأنه خارج من قبره تعلوه صفرة"[2].

كما برز وتحدث الورثلاني أيضا عن الشيخ المذكور والولي المشهور "سيدي عبد الرحمن الأخضري" في قريته المشهورة والتشبيه في قوله: "فلما وصلته كأنه حي في قبره وذقت..."[3].

"سيدي أحمد الزروق بن مصباح" و "سيدي الحسين بن أعراب" وسيدي "أحمد بن باباس الفليسي" وسيدي "أحمد بن عمر التدلسي" من أهل الوقت. نعم هؤلاء أيضا فقهاء مدرسون متبعون للسنة وقد برز الأسلوب الحجاجي في قول الورثلاني، وذلك من خلال حديثه

---

[1] سيدي الحسين بن محمد الورثلاني، الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،ج1، ط1، 2008، ص12.

[2] الرحلة الورثلانية، ج1، ط1، 2008، ص15.

[3] المصدر نفسه، ص16.

باستخدام الأدلة والبراهين في قوله: "... وقد صحبتهم وأحببتهم وشهدت من جميعهم ما يدل على ذلك أن "سيدي بن أعراب" كان يحدثني عن رجال الغيب ويقول أنهم قالوا ذا ويكون ذا ولو لا الإطالة لذكرت من كلامه ما فيه العجب العجاب من اطلاعه على بعض المغيبات"[1].

2. المكان في الرحلة الورثلانية:

المكان في الرحلة الورثلانية أماكن إنه جمع مكان وقد مرّ الورثلاني في هذه الرحلة بعدة أماكن وبرز الوصف من خلال وصفه انتقاله من مكان لآخر ويظهر ذلك في قوله: "قد خلنا مكة فلم تغادر في النفس ترحه، وأزالت عن الجفون كل فرحة...".

وقوله: "قد خلناها في زحمة عظيمة كادت النفوس أن تزهق غير أن سرورها بالوصول إليها خفف بعض الألم بل قد زال التعب والنقص"[2].

ففي كلامه يبرز السجع أيضا عند مشاهدته للبيت العتيق، فوصف لنا ذلك بقوله: "... فشاهدنا البيت العتيق الذي تزيح أنواره كل ظلام. وقد تدلت أستاره، وأشرقت أنواره، وقد شمّر الترفع عن أسافله، حتى لا يكاد الطائف يناله بأنامله...إلخ"[3].لاحظنا هنا بأن السجع بارز في وصفه الذي ترك نغما موسيقيا. كما لاحظنا الجناس في قوله: "فظفرنا بالأمن والأمان والسلام من باب السلام". وبالتالي فوصف "الورثلاني" في هذه الرحلة مليء بالمحسنات البديعية من الجناس والطباق أيضا (يمينهم/شمالهم) وبالأخص السجع الذي شكل وجعل وصفه فيه وصفا ولحنا موسيقيا مثل قوله عند رؤيته للكعبة الشريفة: "وتجلت لنا الكعبة الشريفة، ورأينا جماعة الناس بها مطيفة فيا لذلك المنظر الذي يملأ القلوب مهابة، والعيون جلالة تسكن الرياح الهابة..."[4].ومنه يتبين لنا أن وصفه فيه تشويق لرؤية ما يصفه لنا.

---

[1] المصدر السابق، ص18.

[2] الرحلة الورثلانية، ص452.

[3] المصدر نفسه، ص452.

[4] المصدر نفسه، ص453.

3. الزمان في الرحلة:

عنصر الزمان في الرحلة الورثلانية جاء كما في قول الورثلاني عام 1199م فقد قال بأنه كما أراد الله المشي منا إلى الحج وقد سبق في علم الله أن يكون حجنا في عام تسع وتسعين ومئة وألف، وقد دل على ذلك بالدليل القرآني في الآية الكريمة:

"وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق"
سورة الحج/27.

وفي ذلك الزمان يخبرنا الورتلاني بأن "أحمد الطيب الزواوي لما قام بزيارتهم واقفا عليهم وطالع أحوالهم لعل الله يفرج ما بهم، وصل إليهم وفرّج الله عنهم بعد أن وقع النصر من الله العزيز وقد اعتمد الورثلاني على الأسلوب الحجاجي من خلاله استخدامه للشواهد كما جاء في قوله بالدليل: "فلما وصل إلينا فرج الله عنا ذلك بعد أن وقع النصر من الله العزيز لقوله تعالى:

"ولينصرنّ الله من ينصره"
سورة الحج/40.

وقوله تعالى:

"إن تنصروا الله ينصركم"
سورة محمد/7.

4. الشعر:

الشعر في اللغة هو الكلام الدال على معنى.

وهو كلام موزون يخدم الصفات والجماليات لشرح موضوع معين بصورة غير مباشرة.

لقد توفرت الرحلة الأدبية الورتلانية على ما يسمى بالشعر وهذا أحد الجوانب التي تدل على أن الرحلة الورتلانية يغلب فيها الجانب الأدبي. ومن الأمثلة التي تبرز ذلك.

قال الإمام أبو سالم وقد قلت في هذا المعنى، وأبديت فيه تشبها غريب المبنى[1].

فكـــأنـــه لمـــا بـــدا متشـــمرا والطـــائفون به جميعا أحدقوا.

ملك همـــام ناهـض للقاء مـــن قـــد زاره ولـــه إليـــه تشـــوق.

فتبـادر الغلـمـــان رفـع ذيـولـه حـتى إذا رجـعوا أطـلقـــوا.

قال ومن رأى أكابر الملوك عند قيامهم، وتشمير الغلمان لفاضل الذيول عن يمينهم وشمائلهم، علم غرابة هذا التشبيه وحسن موقعه وأنه واقع في موضعه وعلم ما بينه وبين من شبه بهند وليلى وأنه لم يجد وصفا ولم يحسن قولا.

وقوله أيضا[2]:

إلى سيد الأحجـار في الحـرم الذي قضى الخالق البارئ بتعظيم شأنه.

حثثنا مطايا الشوق والسوق في الفلا فجـاءت بنـا إنسان عين زمانـه.

ليس الشعر إلا وليد الشعور والشعور هو التأثر وانفعال ورؤى وأحاسيس وعاطفة ووجدان. صور وتعابير ألفاظ تكسو التعبير رونقا خاصا نغما موسيقيا ملائما. لقد كان في شرح الورتلاني ووصفه لما شاهد من عدة مشاهد خلال رحلته هاته وخلال انتقاله من مكان إلى آخر وصف في شكل أبيات شعرية ولدت رونقا خاصا ونغما موسيقيا ملائما ونذكر من بعض هاته الأبيات[3].

ومـــازال وفـد الله يقصـد مكة إلى أن بدا البيـت العتيق وركناه.

---

[1] الرحلة الورتيلانية، ص452.

[2] الرحلة الورتلانية، ص453.

[3] المصدر نفسه، ص456

فضجت وقود الله بالـذكر والدعا وكـبرت الحجاج حيـن رأيناه.
وقد عـادت الأرواح تزهـق فـرحة لما نحن من عظم السرور شهدنـاه.
تصافـحه الأملاك مـن كـان راكبا وتعـشق المـاشي إذا تتـلقـاه.
وطـفنا بـه سبـع رملـنا ثـلاثـة وأربـعة مشـيا كما قـد وُعدناه.
كـذلك طـاف الهـاشـمي مـحمد طـواف قدوم مثل ما طاف طفناه.
وسـالت دمـوع مـن مـآقي جفوننا على ما مضى من أثم ذنب كسيناه.

هذه بعض الأبيات الشعرية التي احتوت على أهم وأعظم أركان الشعر ألا وهو الوزن، ومنه فهذه الأبيات فيها ما تسمى بالموسيقى الخارجية التي تقوم على الوزن والقافية حيث نلاحظ بأن الأبيات كلها تنتهي بنفس حرف الروي (الهاء) ضف إلى ذلك الموسيقى الداخلية التي نتجت عن المحسنات البديعية المختلفة من سجع وطباق وجناس (الجزآ- الجزأ، راكب /الماشي).

5. المحسنات البديعية:

إن الرحلة الورثلانية للشيخ الفقيه سيدي الحسين بن محمد الورثلاني من بدايتها حتى نهايتها مليئة بالمحسنات البديعية التي أعطت نغما ورونقا خاصا زاد متعة في قراءة هذه الرحلة، ومن بين المحسنات البديعية نجد السجع والذي هو أكثر ما لوحظ عند قراءتنا للرحلة.

ففي المقدمة استخدم الطباق والجناس والسجع كل أنواع البديع وعندما يبدأ بوصفه نلاحظ السجع في قوله[1]: "وبعد فأني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار والرباع والقفار والديار والمعاطن والأرياق والقرى والمزارع والأمصار والعلماء والفضلاء، والنجباء والأدباء... أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي".

ويظهر السجع أيضا عند وصفه لنا أثناء الطواف في قوله: "وطفنا بالبيت سبع طوفان، للقدوم نوينا هذه الحركات، ولم نبال بما لنا في تقبيل الأحجار من الازدحام، والمورد العذب كثيرا ازدحام، وبعده أوقعنا ركعتين خلف المقام، وعدنا للبيت فوقفنا بالملتزم، وشربنا من ماء زمزم، ودعونا في ذلك كله بالأدعية المأثورة ونظم كلماتها المنثورة... إلخ .

[1] الرحلة الورتلانية، ص12.

ضف إلى هذا الجناس في قوله: "فخرجنا لقضاء شعيرة السعي من باب الصفا، كما روي عن معدن الصفا"[1]. والجناس في قوله تذكرا وتذكيرا، كما نجد الطباق: (ليلا/ نهارا، البر/ البحر، الشمس/ القمر... إلخ).

ومنه فالرحلة مليئة بالبديع وقد حاولنا ذكر بعض من المحسنات البديعية التي صادفناها عند قراءتنا لهذه الرحلة الأدبية.

6. الصور البيانية:

بالإضافة إلى المحسنات البديعية التي سبق ذكرها لا يخفى علينا بأن الرحلة الورثلانية رحلة أدبية مليئة بالصور البيانية من تشبيه واستعارة ومجاز ولاحظنا التشبيه في قوله: "رأيته رضي الله تعالى عنه كأنه خارج من قبره" وفي قوله: "... وجدته كأنه حيي في قبره وذقت" ويظهر التشبيه أيضا في قوله الإمام "أبو سالم" وقد قلت في هذا المعنى وأبديت فيها تشبيها غريب المبنى"[2]

فـــكـــأنـــه لـما بـدا متـشمرا والطـائفون به جميعا أحدقوا.

والاستعارة المكنية في قوله : مالت الشمس حيث شبه الشمس بالشيء الذي يميل فحذف المشبه به (الشيء) وترك المشبه (الشمس) وترك لازم من لوازمه (مالت) على سبيل الاستعارة المكنية.

وكذلك فيقوله: لما رأت تلك الدموع التي جرت هنا، استعارة مكنية حيث هنا شبه الدموع بالإنسان الذي يجري وفيها تجسيد للمعنى ذكر المشبه (الدموع) وحذف المشبه به (الانسان) وترك قرينة تدل عليه.

[1] المصدر السابق، ص12.

[2] الرحلة الورلانية، ص453.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن استخلاص الاستنتاجات الآتية:

- ✓ الرحلة هي انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة.
- ✓ تنقسم الرحلة إلى قسمين وهما: الرحلة الواقعية المباشرة وبمعنى الحقيقي، والنوع الثاني يتمثل في الرحلة الخيالية.
- ✓ الرحلة الورتلانية هي رحلة حجازية تحمل عنوان "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" والمشهورة بالرحلة الورثلانية نسبة إلى قبيلة قرب بجاية، وهي للشيخ الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثلاني.
- ✓ هناك نصوص للرحلة رفيعة المستوى، جذابة الأسلوب تحتفل بالجمال والخيال والعبارات الملحقة ذات القدرة على الإقناع والتأثير.
- ✓ تتفق كافة كتب الرحلة في الاعتماد على تقنية الوصف لأنها المهمة الأولى لكتب الرحلة.

قائمة المصادر والمراجع.

- **القرآن الكريم.**
- **قائمة المصادر والمراجع:**
- **قائمة المصادر:**

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صبح: دار إيديسوفن، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
2. سيدي الحسين بن محمد الورثلاني، الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،ج1، ط1، 2008.
3. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1986،ج2.

- **قائمة المراجع:**

1. أحمد الظاهر، الأدب المقارن أصوله وتطور مناهجه.
2. آرنست فيشر، صورة الفن، تر: أسعد حليم الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1986.
3. الامام غرابي، إحياء علوم الدين، مكتبة الدعوة الاسلامية، القاهرة، مصر، دت، ج2،
4. بطرس البستاني، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت لبنان، 1884، ج8.
5. صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المنصرة، دار نشأة المعارف، الاسكندرية، مصر ،ط2.
6. عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مكة المكرمة، الرياض، دط، 2005م.
7. محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، دار الكتب والوثائق أثناء النشر، ط1، القاهرة.
8. محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، دلر الكتب والوثائق القومية أثناء النشر، القاهرة، ط1.
9. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار مطابع الشعب، القاهرة، 1964،
10. مكي أحمد الظاهر، الأدب المقارن–أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987م.
11. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي.

- **المجلات والمقالات:**

1. سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، الكويت، يناير 1987.

2. صلاح الدين الشامي ونادية محمود عبد الله، مقال بعنوان "أدب الرحلات"، عالم الفكر، عدد يناير 1983

3. صلاح الدين الشامي، عالم الفكر ، يناير 1983، الكويت

عامر فتحي، قراءة في كتاب "الرحلة في الأدب العربي"، التحنيس وآليات الكتابة وخطاء المتحيل، "لصاحبه شعيب حليفي، متاح على الشبكة www.el-rayan.com.

الفهرس:

- **مقدمة.....ص أ-ب.**
- **الفصل الأول: مفهوم الرحلة وأنواعها.**
  - **المبحث الأول:**
    1. المفهوم اللغوي. .....ص6.
    2. المفهوم الاصطلاحي. .....ص7.
  - **المبحث الثاني:** أنواع الرحلة.
    1. الرحلة الحقيقية "الواقعية المباشرة".....ص 11.
    2. الرحلة الخيالية.....ص11
- **الفصل الثاني: أدب الرحلة وخصائصه.**
  - **المبحث الأول**: الرحلة الأدبية (أدبية الرحلة). .....ص21.
  - **المبحث الثاني**: خصائص أدبية الرحلة
    1. الخصائص المميزة للمضمون.....ص24.
    2. الخصائص المميزة للشكل.....ص29.
- **الفصل الثالث: رحلة الورتيلاني**
  - **المبحث الأول:** التعريف بالرحلة ومسارها
    1. التعريف بالرحلة.....ص32.
    2. مسار الرحلة.....ص33.
  - **المبحث الثاني: الرحلة من حيث الشكل والمضمون.**
    1. الشخصيات .....ص40.
    2. المكان في الرحلة الورتيلانية .....ص41.
    3. الزمان في الرحلة .....ص42.
    4. الشعر.....ص43.
    5. المحسنات البديعية.....ص44.
    6. الصور البيانية .....ص45.
- **خاتمة.**
- **قائمة المصادر والمراجع.**
- **الفهرس.**